تقرير عن كتاب العربية بين يديك

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فقد طلب مني بعض الطلاب الفضلاء تقريرًا عن كتاب العربية بين يديك، لما اشتهر أمره بين الطلاب، وكان الذين وضعوه غير مؤتمنين على تربية الشباب المسلم السلفي...

فاستعنت بالله ونظرت في عجالة، فوجدت به ما يلي:

1- أول ما يطالعنا في الكتاب هو ما ورد في مقدمته من الحديث عن أهداف السلسلة، حيث قال (المؤلفون) : تمكين الدارس من الكفايات التالية: الكفاية اللغوية، الكفاية الاتصالية، الكفاية الثقافية.

(قلت): واضح من بداية الكتاب أن العناية بربط الطالب بالعلم الشرعي ليس من أهداف الكتاب ولا من أولوياته.

2- معظم الموضوعات به دنيوية، أما النصوص الدينية فقليلة، مما لا يساعد طالب العلم على تلقي دروس العلم وسماع العلماء في وقت سريع.

3- اللغة التي كتب بها الكتاب لغة معاصرة، غير تراثية، أشبه بلغة الجريدة والمجلة، مما يحدث فجوة بين طالب العلم وكلام علماء السنة، لاسيما إذا أراد الطالب الأعجمي أن يحاول بنفسه القراءة في كتب السلف الصالح ومن تبعهم بإحسان.

4- الكتاب يسوق أحيانا أحاديث ضعيفة، ولا يذكر تخريجها، كالحديث الذي ورد في الكتاب الثاني، الوحدة السادسة، درس "عمل خير من مسألة" .. ونص الحديث أن رجلا من الأنصار أتى النبي صلى الله عليه وسلم يسأله فقال: «أما في بيتك شيء؟» قال بلى حلس نلبس بعضه ونبسط بعضه، وقعب نشرب فيه من الماء. قال: «ائتني بهما» قال فأتاه بهما فأخذهما رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقال: «من يشتري هذين؟» قال رجل أنا آخذهما بدرهم قال: «من يزيد على درهم؟» مرتين أو ثلاثا قال رجل أنا آخذهما بدرهمين فأعطاهما إياه وأخذ الدرهمين فأعطاهما الأنصاري وقال: «اشتر بأحدهما طعاما فانبذه إلى أهلك واشتر بالآخر قدوما فأتني به» . فأتاه به فشد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عودًا بيده ثم قال له اذهب فاحتطب وبع ولا أرينك خمسة عشر يوما ". فذهب الرجل يحتطب ويبيع فجاء وقد أصاب عشرة دراهم فاشترى ببعضها ثوبا وببعضها طعاما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أليس هذا خيرًا لك من أن تسأل الناس أعطوك أو منعوك؟»

(قلت): هذا الحديث رواه أبو داود والترمذي، وضعفه الألباني كما في «مشكاة المصابيح» برقم (1851) وأيضا في «إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل» برقم (867)، وكذلك في ضعيف أبي داود وضعيف الترمذي.

5- ومن ذلك أيضا ما ورد في الكتاب الرابع، الوحدة الأولى، الدرس السادس بعنوان «محمد نبي الله وخاتم رسله»، أن أهل المدينة خرجوا يستقبلونه عندما هاجر إليهم وهم ينشدون:

طلع البدر علينا .... من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا .... ما دعا لله داع

وهذا الحديث أيضا حكم عليه أهل العلم بالوضع، وأنه اشتهر بين العوام فقط، ومن هؤلاء العلماء الذين تكلموا فيه شيخ الإسلام ابن تيمية في «أحاديث القصاص» وابن الجوزي في «تذكرة الموضوعات» ، وآخرهم الألباني الذي حكم عليه بأنه لا أصل له في مواضع متفرقة من كتبه، منها على سبيل المثال «سلسلة الأحاديث الضعيفة» برقم (598).

6- ومن ذلك أيضًا ما ورد في الكتاب الرابع، الوحدة الثانية عشرة، درس «في الأرض المقدسة»، يقول صاحب الدرس (شخص أسطوري خيالي): ههنا رأيت هندًا تجدع آذان الشهداء وأنوفهم، وتجعلها خدما -حلقات- وقلائد، ورأيتها تبقر عن كبد الحمزة وتلوكها، فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها ..

(قلت) : هذه رواية موضوعة خبيثة مشينة، فهي غير مقبولة لا متنًا ولا سندًا، وقد ردَّدها إمام الخوارج في هذا العصر سيد قطب في «ظلاله»!

وهل يليق الكلام عن صحابية بهذا الأسلوب الفجّ؟ أليس الإسلام يجب ما قبله؟ هذا إن ثبتت الرواية، فقد حكم بوضعها الإمام ابن كثير في «البداية والنهاية» (429/5) وقال إن القصة من مرسلات موسى بن عقبة. لأن الذي قتل حمزة هو وحشي، الذي كان عبدًا لجبير بن مطعم بمكة، وقد قتل حمزةُ طعيمةَ عم جبير بن مطعم في بدر، ووعد جبيرٌ وحشيًّا بالحرية إن قتل حمزة بعمه طعيمة، والرواية ثابتة في الصحيح، فلا علاقة لهند بنت عتبة بقتل حمزة، كما يروِّج لهذا الشيعة الروافض.

7- الكتاب محشو بالتصاوير وكأنه مجلة دورية ترفيهية..وقد يقال: ما المشكلة؟ الكتاب تعليمي.. فيقال: إن وافقنا على ذلك فالتصاوير زائدة عن حد التعليم، والأدهى والأمر أن كثيرًا من هذه التصاوير فيها تصوير الكفار وأشكالهم وملابسهم وطريقتهم في العيش، ولا تظهر خصائص المسلم الملتزم بسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في هيئته ولباسه ومعيشته.

ومن هذا صور المعلم بالبذلة والكرافت (اللباس الغربي التقليدي للرجل المعاصر)!

وأين قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ والطالب الأعجمي الذي أسلم حديثًا يحتاج أن يتعلّق بهديه صلى الله عليه وسلم.

8- الكتاب لا يهتم بجانب الحياء والحشمة في تصاويره على كثرتها، ففي بعض المرات تجد صورة كاملة مفصلة لرجل شاب أعجمي يَظْهر جسمُهُ ظهورا شبه كامل، بغرض تعريف الطالب مسميات أعضاء جسم الإنسان، والغريب أن صورة الشاب بها ملابس داخلية بغرض ستر العورة المعروفة عند الرجل، وهذه الملابس كأنها تفصل عورة الرجل تفصيلا مضلعا، كما هو حال المصارعين الكفار وأمثالهم... وهذا موجود بالكتاب الأول (أ)، الاختبار النصفي، فقرة بعنوان المفردات المساندة.

9- الكتاب يعرض صورًا حياتية أوربية أو أمريكية، مشوّقة لهذه البلاد، فاتنة للضعفاء.

10- الكتاب يروِّج لعادات وأعراف غربية تتنافى مع الشرع، منها الاختلاط بين الرجال والنساء.

11- ومن هذه الأفكار الغريبة التي يروج لها الكتاب فكرة التمثيل والمسرحيات، فقد ورد في الكتاب الرابع، الوحدة الثانية، الدرس الثالث عشر، بعنوان «مسرحية القوي الأمين» وهي مسرحية كاملة طويلة يؤديها "الصحابة" ، فتجد الحوار دائرًا بين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عوف وطلحة وأسيد ..، ثم بَيْنَ أبي بكر وعائشة وأسماء !! والعجيب أن هذه المسرحية تكررت في مشهد آخر في الدرس العشرين.

(قلت): وهل بعد هذا سننتظر الطلاب الموهوبين ليقوموا بأداء أدوار الصحابة وتمثيل هذه المشاهد؟ وهل الطلاب الأعاجم الذين تخلصوا من ثقافة بلادهم وعاداتهم المرذولة سيأتون ليجدوا شبيها لها في معاهدنا حينما ندرّسهم مثل هذه الكتب؟

وتقليد الكفّار في مسألة التمثيل، وجعله وسيلة للدعوة والتعليم إنما ابتدعها وروّج لها حزب الإخوان المسلمين.

12- كما أن الكتاب يروج لبعض العادات الاجتماعية الشائعة لدى العوام، كالصلاة في البيوت، وكمشاهدة التلفاز ..، فقد ورد في الكتاب الأول، الوحدة الرابعة، درس الحياة اليومية، وردت صورة لاثنين يصليان في البيت صلاة الفجر، وتحت هذه الصورةِ صورةٌ أخرى لرجل يشاهد التلفاز..

(**قلت**): ولا مجال هنا لذكر الخلاف الفقهي في حكم صلاة الجماعة للرجال في المساجد، وحكم مشاهدة التلفاز؛ لأننا بصدد تعليم مسلمين أعاجم بعضهم دخل في الإسلام حديثًا وما زالوا يتحسسون الطريق؛ كي يتعلّموا خصال الإسلام وأخلاق المسلمين التي تميزهم عن الكفار، لا أن يتعلَّقوا بالأعراف المزيفة المعاصرة المأخوذة من المجتمعات الكافرة والدخيلة على مجتمعات المسلمين.

13- كما أن الكتاب يدعو لنبذ الحفظ وإعمال العقل فحسب، وهذه دعوى غريبة جدًّا، فقد جاء في الكتاب الرابع، في الاختبار الثاني على الوحدات (5-8) عبارة: "والحفظ مكروه في التعليم، إنما لابد من استنباط المعاني للوصول إلى اليقين..".

(قلت): الكتاب حقًّا لا يدعو إلى الحفظ؛ فالنصوص الشعرية به نادرة، ليس إلا الجزء الأخير من الكتاب، لكن هل هذه دعوى لإهدار الملكة الذهنية؟ وهل كان السلف الصالح مخطئين حينما كانوا أوعية للعلم؟ وهل الأمة أجمعت على باطل حنيما اتفقت على أن أول العلم الحفظ ثم بعده الفهم والاستنتاج والتحليل؟ وقد قال الإمام ابن الجوزي (ت:597هـ): فإن الله عز وجل خَصَّ أمتنا بحفظ القرآن والعلم، وقد كان من قبلنا يقرأون كتبهم من الصحف، ولا يقدرون على الحفظ..، وقد بوب البخاري (ت:256هـ) في صحيحه بابًا بعنوان:"حفظ العلم"؛ ليبيّن أهمية الحفظ ومكانته. ولعلماء الأمة عبر التاريخ كلمات محفزة على حفظ العلم والتنبيه على أهميته في الجملة، من ذلك قول عبد الرزاق الصنعاني (ت:211هـ): "كل علم لا يدخل مع صاحبه الحمام فلا تعده علمًا". وقال السلف الصالح قديمًا:

عِلْمِي مَعِي أَيْنَمَا يَمَّمْتُ يَتْبَعُنِي ..... بَطْنِي وِعَاءٌ لَهُ لَا بَطْنُ صُنْدُوقِ

إنْ كُنْتُ فِي البَيْتِ كَانَ العِلْمُ فِيهِ مَعِي ..... أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ العِلْمُ فِي السُّوقِ

14- الكتاب لا يحتاط للخلفية المسلمة السُّنية السليمة، فنراه يتحدث عن أشخاص من إيران الرافضية بكل بساطة ويسر، وكأن الدولة الإيرانية -التي جعلت مذهبها الرسمي مذهب الإمامية الإثنى عشرية الذي قام على سب وتكفير الصحابة- دولة مسلمة مثل مصر أو السعودية وسائر الدول المسلمة السنيّة.

فجاء بالكتاب الأول، الوحدة الثالثة عشرة، الدرس (113): حديث عن امرأة: "هي إيرانية" ، بنوع من التطبيع والاعتياد.

15- نجد أن الكتاب يحيل القضايا العظمى للمسلمين لغير أربابها، ولا يرد الأمور لنصابها الصحيح، فمثلا يتكلم عن دور عصبة الأمم والأمم المتحدة في حل النزاعات الدولية، والدفاع عن الأمم الضعيفة المظلومة .. ثم يقول الكتاب: ولكنها أصبحت ضعيفة وعاجزة عن حل كثير من المشكلات، كمشكلة فلسطين والقدس وكشمير.. ورد هذا في الكتاب الثاني، الوحدة الرابعة عشرة، درس الحرب والسلام.

16- يتعرض الكتاب أحيانا لبعض القضايا الكبيرة دون تدخل، ولا يهتم بذكر الأدلة الشرعية أو فتاوى أهل العلم المؤتمنين، ويترك الطالب يحدد بنفسه ما يراه صوابًا، مثل ما جاء في الكتاب الثاني، الوحدة السادسة، درس عمل المرأة، حيث نقل ثلاثة آراء لعمل المرأة، ما بين مؤيد ومعارض ومتوسط بينهما، دونما ترجيح بين هذه الآراء، فالكتاب يصطبغ بالصبغة الاجتماعية لا الدينية.

17- الكتاب يزيد في وصف أشياء خاصة بالنساء لا تنفع غالبًا ..فجاء بالكتاب الأول، الوحدة الأولى، درس "التحية والتعارف" : صورة لحجاب امرأة تركية وأخرى سورية وأخرى لحجاب مصرية ..!!

18- كما ورد في الكتاب الأول، الوحدة الخامسة، درس الطعام والشراب، التدريب الخامس: جاء كلام عن شابة اسمها زينب، وأنها تحب الطعام كثيرًا، وأنها سمينة جدًّا.. وتحت المكتوب صورة مظللة لامرأة تضع يديها في جنبيها، وهي ممتلئة!!

19- الكتاب لا يحتاط من الصور التي قد تفتن بعض الضعفاء..فجاء بالكتاب الثاني ، الوحدة الثالثة، درس بعنوان "الحياة الزوجية" : صورة لبنت كاشفة معصم يديها مرتدية ملابس بيتية ملونة وهي تقرأ في المصحف.

20- الكتاب يروج لمشايخ الإخوان المسلمين، ويضعهم جنبا إلى جنب مع علماء أهل السنة الأكابر..

فجاء في الكتاب الثاني (أ) ، الوحدة (8) ، الدرس (101) بعنوان "الجوائز" : من الذين حصلوا على جائزة الملك فيصل الخيرية: أبو عبد الأعلى المودودي من باكستان، وأبو الحسن الندوي من الهند، وعبد العزيز بن باز من السعودية، ويوسف القرضاوي من مصر ..

وقد يقال: أليس هذا ثابتًا وصحيحًا؟

فيقال: بلى، ولكن لا يشيد بأمجاد حزب الإخوان المفلسين من العلم والمنهج الصحيح ويمدح قادتهم ودعاتهم ويعلي ذكرهم إلا أمثالهم، لأن انحرافات هؤلاء الدعاة أصبحت معلومة للقاصي والداني بما لا يترك مجالا لتمجيدهم.

21- الكتاب يروج لأفكار الحركيين الحزبيين من الخوارج وأذنابهم، مثل مراقبة الحكومات والتدخل في شئون الحكم..فجاء في الكتاب الثاني (ب) ، الوحدة (15) ، الدرس (192) ، بعنوان "التلوث" : توجد في العالم منظمات تدعو للمحافظة على البيئة ومراقبة الحكومات والمؤسسات! ومن هذا المطالبة بحرية التعدي على الحاكم وانتقاده علنا والتنقص منه، بدعوى الديمقراطية وحرية التعبير ..

22- الكتاب يظهر البلاد العربية والإسلامية عموما بمظهر الضعف والتخاذل والتبعية للدول الغربية، ففي الكتاب الثاني، الوحدة الخامسة عشرة، درس "دفن النفايات" يقول: إن بلادنا تدفن بها كثير من النفايات، لأن الدول المتقدمة الصناعية لديها منظمات لا تسمح لها بهذا، ونحن لا نخاف على شعوبنا مثلهم.

فجاء في الكتاب الثالث (أ) ، الوحدة (6) ، الدرس (36) ، بعنوان "هجرة العقول" : من أسباب الهجرة انعدام الحرية السياسية والفكرية، حتى إن كثيرًا من المعتقلين السياسيين هم من الذين يحملون أعلى الشهادات العلمية، مما يضطر أكثرهم إلى الاستقرار في الخارج، حيث يجدون من الحرية ما لا يجدونه في أوطانهم ...

23- كما أن الكتاب يُرَوِّج للشباب الذي لا يثق في حكومته ويكذبها فيما تأتي به من وعود، فقد ورد بالكتاب الثاني، الوحدة السادسة، درس البحث عن العمل، ورد حوار بين أب وابنه عن مسألة العمل، وفيه ما يأتي:

- الأب: تقول الحكومة ستكون هناك فرص عمل كثيرة للشباب.
- الابن: سمعنا هذا الكلام كثيرا، نحن نريد عملًا لا كلامًا.

24- الكتاب ينقل عن مصادر إخوانية صليبية دون استحياء، فقال في الكتاب الثالث (أ) ، الوحدة (6) ، الدرس (36) ، بعنوان "هجرة العقول" : «انظر مجلة الأمة».

هكذا مباشرة، مع أنها مجلة إخوانية يشرف عليها القرضاوي نفسه، وهي على موقعه، sكما أنه يأخذ كثيرا من مقالات مصطفى السباعي ومحمد أبي غدة ويحيل إليهما صراحة.

1- الكتاب ينقل كثيرًا من القصص، ولا يتحرى الصواب منها، ولا يعزو لمصادر موثوقة، بل ولا حتى معروفة ..

فجاء في الكتاب الثالث (ب)، الوحدة (9) ، الدرس (57) ، بعنوان "المساواة الحقة" : ما فعله عمرُ من القصاص من ولد عمرو بن العاص، وكان أبوه أمير مصر، للمصري الذي شكاه، ثم تأنيبه لعمرو إذ اعتدى ابنه معتمدًا على سلطان أبيه بكلمته المشهورة: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟

قلت: وهذه القصة موضوعة مختلقة لا تثبت أبدًا، رواها صاحب كنز العمال بسند فيه انقطاع، وقد قال الشيخ الفوزان عن هذا الكتاب: هو كنز الشيعة!!

كما أن القصة فيها تنقص من عمرو بن العاص الذي لم يعاقب ابنه لما اعتدى على المصري لسلطان أبيه، مما ألجأ المصري للذهاب للخليفة عمر بن الخطاب بنفسه.

ومن عجب أن هذه القصة تكررت في الكتاب الرابع (ب)، الوحدة (9)، درس (قصص عمرية) وكأن المؤلف فخور بها، على طريقة العوام الهوام الذين يهذون بما لا يدرون ولا يتثبتون فيما ينقلون.

(هذا ما وقفت عليه من الطوام في هذا الكتاب، ولعل غيري يقف على ما هو أكثر من هذا، والله من وراء القصد، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين)

وكتب: د/ عبدالحميد الأنصاري، عصر الجمعة، العشرون من شوال 1441هـ